المحاضرة الثانية: علاقة الأرطفونيا بالعلوم الأخرى

أهداف الدرس:

- أن يتعرف الطالب على علاقة الأرطفونيا بالطب
- أن يتعرف الطالب على علاقة الأرطفونيا باللسانيات
- أن يتعرف الطالب على علاقة الأرطفونيا بعلم النفس
- أن يتعرف الطالب على علاقة الأرطفونيا بعلم الاجتماع
- أن يتعرف الطالب على علاقة الأرطفونيا بعلوم التربية

إن الأرطفونيا علم يعتمد على عدة علوم أخرى أهمها:

1-الطب : هو ضروري جدا يكاد يتدخل في كل الاضطرابات حيث نجد الارطفونيا في بعض الدول فرعا شبه طبي أي انها ضمن الفروع الملحقة بالطب، لذا فعلى الأرطفوني أن يتعرف على جميع الأعضاء التي تسبب الاضطراب اللغوي بطريقة مباشرة او غير مباشرة، فمثلا بالنسبة للحبسة علينا ان نلم بمناطق الدماغ المسؤولة عن اللغة فهما وإنتاجا مثل التلفيف الثالث من الفص الجبهي والمسماة بمنطقة بروكا أي المنطقة الحركية لأعضاء النطق وكذا التلفيف الأول من الفص الصدغي والمسماة بمنطقة فارنيكي وهي المنطقة الحسية.

وكذلك في الصمم لابد على الأخصائي الأرطفوني أن يتعرف على أجزاء الاذن ودور كل واحدة منها وكذلك في الاضطرابات الصوتية لابد ان نتعرف على الحنجرة التي تعتبر العضو الأساسي في الجهاز الصوتي لدى الفرد وأي إصابة ستؤدي حتما إلى اضطراب قد يكون البحة الصوتية dysphonie أو حتى الفقدان التام للصوت Aphonie، نذكر على سبيل المثال لا الحصر المصابين بسرطان الحنجرة فبعد التدخل الطبي الجراحي والمتمثل في الاستئصال التام أو الجزئي للحنجرة وبعد فترة من العملية الجراحية يأتي دور المختص الأرطفوني ليقوم بإعادة تصحيح صوته وذلك من خلال مجموعة من الخطوات والتقنيات والتمارين والمتمثلة في: أولا تمارين الاسترخاء وبعدها تمارين التنفس البطني وفي الأخير التمارين الصوتية، أما فيما يخص اضطرابات النطق فمعرفة وضعيات اللسان الصحيحة عند نطق الحروف شيء لابد منه، والمعروف أن غالبية اضطرابات النطق تكون ذات سبب عضوي خاصة تلك المرتبطة بالتشوهات الخلقية التي تمس عادة الجهاز النطقي كالشقوق الشفوية –الحنكية Les fentes labio-palatine وكذا التشوهات التي تمس تموضع الأسنان وهنا تبرز أهمية طب الأسنان وعلاقته بالأرطفونيا فإن هذه التشوهات تعرقل الإنتاج النطقي السليم فتؤدي إلى تغير في مخرج أو/ وصفة الصوت .

وهنا وبعد التكفل الطبي يأتي دور المختص الأرطفوني ليساعد الحالة في اكتساب الآلية الصحيحة لنطق الصوت المضطرب وهذا بإتباع مجموعة من الخطوات أهمها تحديد وبدقة الصوت المصاب وهذا بعرض القائمة الفونيتيكية La liste phonétique على الحالة ومن ثمة تصحيح موضع وصفة الصوت بمعنى التموضع الفونيتيكي وهذا بالاعتماد على مجموعة من الوسائل كالمرأة أو موجه اللسان Guide langue مثلا وبعدها إكساب الآلية وهذا بالاستغناء على الأداة المساعدة وكذا إدخال الصوت المصحح في مقاطع متفاوتة الطول والصعوبة وبعدها في كلمات وثم جمل وأخيرا ضمن المحادثة التلقائية.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك اضطرابات نطقية لا تكون ذات أصل عضوي وإنما وظيفي كعدم النضج أو سوء التنسيق الحركي لأعضاء النطق وهنا يكون التدخل الآرطفوني مباشرة دون اللجوء أو توجيه الحالة إلى الطبيب وبصفة عامة تأخذ الأرطفونيا الكثير من العلوم الطبية .

إذن تأخذ الارطفونيا الكثير من العلوم الطبية فعلم التشريح يقدم المعلومات الكافية عن الرئة وباقي أعضاء التنفس والحنجرة والتجويف الفمي والأنفي، جهاز السمع، والجهاز العصبي بمختلف أجزائه وعلم وظائف الأعضاء يقدم معلومات وافية عن آليات عمل هذه الأجهزة، والطب العقلي يعطي معلومات عن مختلف الأمراض العصبية وحالات اللغة فيها، وطب الأذن والأنف والحنجرة يوفر معلومات هامة جدا عن السمع واختلالاته والصوت واضطراباته.

فلقد سبق وأن أشرنا أن الجذور الأولى كانت على يد أطباء فحسب المؤرخين فإن الانطلاقة الأولى لهذا العلم كانت من خلال الأبحاث الطبية العصبية والتي أجريت حول مناطق اللغة بالدماغ وعلى يد الأطباء الألمان بصورة خاصة، لتتوسع الدائرة وتشمل إلى جانب طب الأعصاب بقية التخصصات الطبية الأخرى.

من خلال ما أوردنا يتضح لنا جليا العلاقة الوطيدة والتكاملية بين العلمين فكلاهما لا يمكنه الاستغناء عن الآخر فإذا ما تصورنا مثلا عملية جراحية لإزالة الشق الشفهي الحنكي لطفل ولد به ولم يكن هناك تكفل أرطفوني فإنه من المستحيل أن يتمكن من اكتساب طبيعي وصحيح للغة، وكذلك في حالة الصمم العميق واستفادة الطفل من عملية الزرع القوقعي، فإجراء العملية دون أن تتبع بتكفل أرطفوني لن يكون له فائدة، ومنه فإن التكفل الطبي لهذه الاضطرابات وبصورة خاصة العضوية منها دون أن يكمل بتدخل أرطفوني سيعد عملا ناقصا.

2-علم النفس : في الجزائر الأرطفونيا هي فرع من فروع علم النفس فهي تعتمد في كثير من الأحيان على علم النفس ومعطياته سواء كان ذلك على مستوى التنظير (الجديد من النظريات والأفكار) أو على مستوى التطبيق (أدوات البحث وطرق الكفالة والعلاج) هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن لا ننسى أننا نتعامل مع حالات تعاني من اضطرابات لغوية وكل حالة تنفرد بنفسها فكل معاق او مريض ينفرد بشخصية وسمات معينة تميزه عن مريض اخر وبالتالي تكون الكفالة مختلفة أيضا بالرغم من وجود نفس

الاضطرابات عند فردين مختلفين، وهذا يرجع الى الفروقات الفردية أولا، الوسط الذي يعيش فيه ثانيا، ثم إلى درجة وعي الآباء بهذا الاضطراب ثالثا.

لذلك فنحن لا نستطيع ان نتبع التعليمات أو نطبق التقنيات آليا، حيث لابد من أن نأخذ بعين الاعتبار حالات المريض النفسية التي تكون متفاوتة من يوم لأخر، وكذلك الارطفوني لابد ان يكون على اتصال دائم بأخصائي نفساني لأنه قبل أن يبدأ بالتكفل بالاضطرابات لابد من الميزانية النفسية التي ترافق الفحوصات الطبية في الملف الخاص بالمريض.

كما أن بعض الاضطرابات التي يتكفل بها المختص الأرطفوني ذات منشأ نفسي مثل التأتأة وبعض حالات فقدان الصوت.

يقول دي سوسير في إحدى محاضراته "فكل ما في اللغة إنما هو في جوهره نفسي، بما في ذلك مادة اللغة ومظاهرها الآلية" ومن هنا نجده يؤكد على تأثير الجانب النفسي على الانتاج اللغوي بل إن اللغة في حد ذاتها موضوع من الموضوعات التي تناولها علماء النفس بالبحث والدراسة.

وللأرطفونيا علاقة بمختلف تخصصات علم النفس هي على سبيل الذكر لا الحصر:

علم النفس العصبي الذي يهتم بدراسة الأساس العصبي لأي سلوك سواء كان أدائي أو معرفي ومن هذه السلوكات نجد اللغة، فهو يعرف على أنه الدراسة العلمية للوظائف المعرفية وعلاقتها بأبنية الدماغ، يتمثل دور أخصائي علم النفس العصبي في تقييم طبيعة ومدى اضطرابات وظائف الدماغ الذاكرة والانتباه واللغة... بعد خلل في الدماغ. لهذا يستخدم المقابلات السريرية والاختبارات النفسية العصبية، ومنه فيتمثل في دراسة العلاقات بين الظواهر النفسية وعلم وظائف الأعضاء وأمراض الجهاز العصبي.

علم النفس المعرفي الذي على أنه الدراسة العلمية للوظائف المعرفية بجميع أشكالها، فهي تدرس التمثلات الذهنية للمعارف، ويهدف علم النفس المعرفي إلى دراسة ميكانيزمات الفكر التي بواسطتها تتطور المعرفة، بدءا بالإدراك الذاكرة والتعلم وصولا إلى تشكل المفهوم والمعالجة المنطقية .

علم النفس اللغوي الذي يدرس السيرورات النفسية الكامنة وراء استخدام واكتساب اللغة ويعتمد على الوصف اللساني من أجل بناء فرضيات حول التوظيف والتمثلات الذهنية المتدخلة في نمو اللغة، وفي السيرورة اللغوية سواءا الانتاج أو الفهم، ولقد استخدم مصطلح علم النفس اللغوي من طرف علماء النفس السلوكيين سنة 1954 للاشارة إلى العلم الذي يدرس سيرورات الترميز وفك الترميز المتدخلة في الأفعال التواصلية، ويتموضع علم النفس اللغوي في ملتقى الطرق بين اللسانيات وعلم النفس وبيولوجيا اللغة Biologie de langage أو ما يسمى بعلم الأعصاب اللغوي Neurolinguistique

فهو وبصورة عامة يهتم بدراسة العمليات الذهنية والقدرات العقلية التي يستخدمها الانسان في اكتساب اللغة من جهة في انتاج اللغة وفهمها من جهة أخرى.

علم نفس النمو: ويعرف على أنه تخصص علمي يهتم بالتغيرات وسيرورات التحول الذي يمس التوظيف النفسي (الوظائف المعرفية، الانفعالية والاجتماعية) لدى الفرد خلال مراحل حياته.

فهو بذلك يدرس تطور وتحليل التغيرات النمائية ومختلف العوامل المتدخلة في النمو وكذا تفاعلاتها، تحدث هذه التغيرات خلال مراحل مختلفة من العمر من النشأة حتى الوفاة.

هذا التخصص من تخصصات علم النفس يهتم وبصورة خاصة بدراسة التغيرات والتطورات التي تحدث في مختلف جوانب الشخص، وباعتباره كلا متكاملا فإن جميع هذه الجوانب متفاعلة فيما بينها بمعنى أنها تؤثر وتتأثر بعضها ببعض بمعنى أن النمو اللغوي مثلا مرتبط و يتأثر بالنمو الحسي الحركي وكذا النمو المعرفي والنمو الانفعالي، وأي خلل في إحداها يؤثر في البقية .

علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يهتم بدراسة كيف تتأثر معارف (الأفكار)، مشاعر (الانفعالات والأحاسيس) تصرفات وسلوكيات الأفراد بسلوكيات الأخرين وخصائص السياق الاجتماعي، وتركز على الفرد داخل الجماعة أو المجتمع، ومن بين السلوكيات التي يكتسبها الفرد داخل الجماعة و بصورة خاصة الأسرة هي اللسان، والتي تحدث أساسا داخل العائلة والمجتمع بصفة عامة أين تتاح له فرص للتفاعل والاتصال.

من هنا تظهر أهمية هذا التخصص بالنسبة للأرطفونيا بل وحتى في عملية التكفل قد يستعين المختص بالأسرة أو جماعة الرفاق أو الوسط المدرسي في تحقيق أهداف التكفل بصورة خاصة بالنسبة للاضطرابات العلائقية كالتأتأة التي تظهر في مواقف محددة وتختفي باختفاء الموقف.

كما للأرطفونيا علاقة وثيقة بعلم النفس العيادي وعلم نفس الصحة وعلم النفس الفيزيولوجي...

3-علم الاجتماع: يلعب الوسط الذي يعيش فيه الفرد دورا كبيرا في إعطائه النمو السليم بحيث أن التربية ونوع المعيشة الذي يتبعه الأباء لتنشئة الأولاد يعمل إما سلبا أو إيجابا في تكوينه بالإضافة إلى أن طلب المساعدة الأولى يقدمه لنا الأباء لنا إذا كانوا على وعي بمشكلة ابنهم، فقد يساعدان المختص الارطفوني على التشخيص المبكر للاضطرابات وكل المعلومات التي نحتاج اليها، فلكي يمارس الأرطفوني وظيفته على أحسن وجه يحتاج إلى معرفة دقيقة بالوسط الاجتماعي الثقافي والاقتصادي للمريض، وعلى ضوئها يحدد استراتيجية التكفل كما يتصلون بالعائلة والمدرسة وهما مؤسستين اجتماعيتين لتطبيق الكفالات الارطفونية، أي أنهما يساهمان في علاج الطفل .

4-اللسانيات: على اعتبار أن الأرطفونيا تهتم بالاضطرابات الخاصة بالاتصال واللغة الذي هو موضوع اللسانيات بالإضافة الى اهتمامها بعلم الأصوات الوظيفي والأصوات العامة (دراسة الأصوات البشرية من حيث تقطيع الحروف وتركيبها) فهي علم ضروري يعتمد عليه الارطفوني في إعادة تربية الاضطرابات حيث عندما نلاحظ اضطرابا لغويا عند مريض ما يسعى لتحليله ثم يبدأ في استنساخه حيث يسجله حسب ما سمعه وما نطق به المريض ومن خلال الثغرات الموجودة في تلك المدونات يستطيع الأرطفوني أن يسطر نوع إعادة التربية.

فاللسانيات تهتم بدراسة اللغة من حيث الصوت وسيرورة التواصل ودراسة الخصائص الفيزيائية للصوت فنحدد طابعه ونبرته وحدته وايقاعه كما تهتم بدراسة أنساق أصوات اللغة الطبيعية ووظيفتها داخل أنساق الاتصال اللغوي.

ومن أهم تخصصات اللسانيات التي لها علاقة وثيقة بالأرطفونيا نجد: الفونيتيك والفونولوجيا حيث لهما نفس موضوع الدراسة وهو الأصوات ولكن يختلفان في أسلوب تناول ومقاربة هذه الأصوات فالفونيتيك عامة تهتم الأصوات من الناحية الفزيائية دون الاهتمام بوظيفتها في لغة معينة، أما الفونولوجيا فهي خاصة بلغة أو لغات معينة ووظيفية أي تنظر في وظيفة أو عمل أو ميكانيزمات الأصوات في لغة واحدة أو عدة لغات.

إذن تعتبر اللسانيات مرتكزا أساسيا لدراسة الإنتاج اللغوي الذي يتمثل في إنتاج وحدات لسانية وفونولوجية، وبالتالي لا يمكن دراسة الإنتاج اللغوي السليم ولا المضطرب إلا من خلال تحليل لساني.

ومنه فالباحث في موضوع اللغة لا يدرك كيف تم انجاز جملة ما من الناحية النفسية حتى يقف على الخطوات أو المراحل التي بها إنتاج هذه الجملة وهذه الخطوات هي:

-صوت الرسالة أو الجملة التي يجب أن تحلل من حيث المستوى الصوتي بفروعه: النطقية والسمعية والفيزيائية والفونولوجية.

-مفردات هذه الرسالة التي لابد من تعريفها وتحليلها وربطها بمعانيها ودلالاتها.

--بنية هذه الرسالة وتركيبها، إذ يجب تحليل مكوناتها للوقوف على علاقة كل كلمة منها بالكلمة او الكلمات الأخرى في التركيب.

-ترجمة هذه الرسالة وفهمها فهما حقيقيا، وهذا الفهم يتوف على الخلفية السابقة للسامع عن هذه الرسالة أو على السياق الذي وردت فيه ويدخل ضمن هذه الخطوة المعجم والدلالة والمعاني التداولية.

5-علوم التربية: يبدو دور الارطفونيا كبيرا في المجال التربوي خاصة عند الأطفال الذين يعانون من ضعف اكتساب وتعلم اللغة المكتوبة، حيث يقوم الأرطفوني بتشخيص أسباب حالات عسر الكتابة والقراءة والحساب وتقديم استراتيجية للتكفل بهؤلاء التلاميذ ومساعدهم على الاكتساب والتعلم.

إذن للأرطفونيا علاقة وثيقة بعلوم التربية بجميع تخصصاتها بحكم أن من بين الاضطرابات التي تهتم بها الأرطفونيا نجد اضطرابات تمس اللغة المكتوبة.

كما أن له علاقة بالتربية الخاصة التي تعنى بالتكفل بذوي الاحتياجات الخاصة مثل حالات الإعاقة الذهنية، التوحد، الإعاقة السمعية...حيث يركز المختص الأرطفوني على التكفل باظطرابات اللغة لدى هؤلاء.